الصيغة السردية

لاحظنا في الفصل السابق هيمنة الصيغتين الرئيسيتين (المشهد الحواري والموجز) وبروزَ خصائصهما في زمنية السرد القصصي القرآني. وكلامنا هنا سينبني على الكلام هناك؛ لأن التمييز بين هاتين الصيغتين- أولا- لا يتأتى إلا من خلال التمييز بين زمن القصة وزمن الحكاية- وثانيا- لأن البحث في الصيغة يقوم أساسا على هذا التمييز بين الخطابين: المسرود والمعروض، أو الموجز والمشهد الحواري.

منذ جمهورية أفلاطون، ومن بعده أرسطو في كتابه " فن الشعر " ولدى حديثه عن طرق المحاكاة، نجد التفريق بين طريقتين لنقل الكلام:

الأولى- الحكاية الخالصة، حيث يكون الشاعر نفسه هو المتكلم، من غير أن يحاول الإيحاء بأن أحدًا آخر هو الذي يتكلم.

والأخرى- المحاكاة (التقليد) حيث يبذل الشاعر جهدا ليحملنا على الاعتقاد بأنه ليس هو المتكلم، وإنما شخصية ما. فالمحاكاة من ثم تحيل على النقل غير المباشر للكلام[1].

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين يعود الحديث مرة أخرى عن الحكاية الخالصة والمحاكاة، ولكن تحت أسماء أخرى: كالتعبير (Telling) والعرض (Showing) مع هنري جيمس Henry James وأتباعه، حيث دعا هنري جيمس إلى توجيه الاهتمام نحو عرض الحدث، أو مسرحته، لا إلى سرده؛ فعلى القصة أن تحكي نفسها بنفسها. أو كما يقول بيرسي لُبَوك: إن على الكاتب أن يتجه نحو الدراما فيأخذ له موضعا وراء المحدث، تاركا الشخصيات تعبر عن نفسها بتلقائية، بعيدا عن تدخله المباشر بأفكاره الخاصة[٢].

ولدى الشكليين الروس، نجد كذلك هذا التمييز، ولكن، كما نرى عند توماشفسكي تحت اسم: السرد الموضوعي (Objectif) والسرد الذاتي (Subjectif) في الحالة الأولى نجد الراوي المحايد، الذي لا يتدخل في سير الأحداث، وإنما يصفها فحسب كما يراها، تاركا الحرية للقارئ في تفسير ما يُحكى له. بينما في السرد الذاتي تُقدم الأحداث من خلال ذات الراوي، فتأتي مشبعة بأفكاره التي يحاول أن يفرضها على القارئ، ويحمله على الاعتقاد بها[٣].

وحتى لا يأخذنا الحديث عن تاريخ الصيغة السردية، وهو تاريخ طويل، متشعب، تتداخل فيه اختصاصات مختلفة. فإننا نعود إلى

obeikandl.com

تحديد مجال البحث الذي ينطلق أساسا من الأدبية (الشعرية) الحديثة، كما رأيناها عند أصحاب مجلة Communication مثل تودوروف Todorov الذي يرى أن مقولة الصيغة، ويسميها: سجلات الكلام[4] (Registres de la parole) تتعلق بطريقة الراوي في عرض المحكي وتقديمه. فنحن بواسطة الكلمات نستحضر كونا مصنوعا من الكلمات، وآخر مصنوعا من النشاطات غير اللفظية، وهذا لا يطرأ عليه تنوع في الصيغة، إنما تنويعات تاريخية تُنتج، بنجاح متفاوت وحسب مواضعات العصر، وهم الواقعية. وبعكس ذلك فإن لقص الكلام أنواعا متعددة؛ لأن الكلام يمكن أن يأتي بهيئات متغايرة، متفاوتة الأهمية. ومن ثم يعرض لاقتراح جنت Genette الذي يميز فيه بين درجات ثلاث من الإقحام: الأسلوب المباشر، وفيه لا تطرأ على الخطاب أية تعديلات، والأسلوب غير المباشر أو " الخطاب المحكي " حيث نحافظ على مضمون الرسالة التي افتُرض التلفظ بها، ولكن بإدماجه نحويا في قصة الراوي، كأن نختصر أو نحذف الانطباعات العاطفية. والدرجة الأخيرة من تغيير كلام الشخصية هي: الخطاب المروي، ويُكتفَى فيه بتسجيل مضمون عملية الكلام دون الاحتفاظ بأي عنصر منه[5].

وفي مقال سابق كان تودوروف Todorov يرى أن هناك نمطين رئيسيين من أنماط السرد، هما: التمثيل (التقديم- أو العرض) (représentation) والقص (narration)، يقول تودوروف: " يمكن أن نفترض أن هاتين الصيغتين في السرد المعاصر تأتيان من مصدرين مختلفين: الإخبار (la chronique) والدراما (le drame) والإخبار أو التأريخ، حسب ما نعتقد، حكي خالص، حيث يكون المؤلف مجرد شاهد ينقل الوقائع، والشخصيات الروائية لا صوت لها، والقواعد المتبعة هي قواعد الجنس التاريخي. وعلى العكس من ذلك، ففي الدراما لا تنقل القصة خبرا؛ فهي تجرى أمام أعيننا... فليس هناك سرد، والحكي مضمّن في حوار الشخصيات الروائية "[٦].

أما جنت Genette فيقارب الصيغة السردية، معتمدا على تعريف ليتريه Littré وهو يحدد المعنى النحوي لمادة (mode) بأنها " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة المستخدمة لتأكيد الشيء المقصود، وللتعبير عن وجهات النظر المتغايرة "[٧] فيرى أن هذا التعريف شديد الأهمية، إذ إننا نستطيع أن نروي كثيرا أو قليلا مما يُروى، وأن نرويه من وجهة النظر هذه أو تلك، وهذه القدرة وأشكال ممارستها، هي التي تشير إليها مقولة الصيغة السردية التي يقترحها[٧]. ومن ثم

فالمسافة التي يكون عليها فعل القص (Le récit) من القصة (L'histoire) التي يتضلع بوصفها، وكذلك المنظور أو وجهة النظر التي يتبناها هما- يقول جنت Genette- الشكلان الأساسيان لذلك التنظيم الذي يتشكل فيه الخبر السردي، ويسمى الصيغة[٨].

بعد ذلك يتحدث عن حكاية الأحداث، وأنها مهما تكن صيغتها فهي دائما حكاية، أو نقل لغير اللفظي إلى ما هو لفظي، ثم حكاية الأقوال التي يميز فيها بين حالات ثلاث من خطاب الشخصية تبعا للمسافة السردية:

١- الخطاب المسرود، أو المروى (Le discours narrativisé) وهو الحالة الأبعد مسافة والأكثر اختزالا. وفيه يختفي تماما كل صوت ماعدا صوت الراوي، الذي يسرد الأحداث وأقوال الشخصيات، سواء بسواء، بلغته هو، فلا يعود من كلام الشخصيات غير أثر ضعيف، ربما يُرجع إليهم لكنه لا يعبر عنهم.

٢- الخطاب المحول (Le discours transposé) أو الأسلوب غير المباشر (Le Style indirect) وهو خطاب أكثر محاكاة من الخطاب المروي، يكون فيه حضور السارد شديد الوضوح، ويتداخل فيه

صوته مع أصوات الشخصيات، وربما تتماهى لذلك وجهتي النظر، تلك الخاصة بالسارد والأخرى الخاصة بالشخصيات، حتى لا نستطيع أن نضع فاصلا بينهما لنقول إن هذا للراوي وذاك للشخصية؛ مما يمنع الخطاب أن يفرض نفسه باستقلال وثائقي يتوفر أكثر في الاستشهاد؛ فالسارد هاهنا لا يكتفي بنقل الأقوال، وإنما يدمجها في خطابه الخاص، ويؤديها بأسلوبه.

٣- الخطاب المنقول (Le discours rapporté) وهو أكثر الأشكال محاكاة، وفيه يتظاهر السارد بإعطاء الكلمة حرفيا لشخصياته. والعجب أن واحدة من أكبر طرق تحرر الرواية الحديثة قد قامت على دفع محاكاة الخطاب هذه إلى أقصى مداها، بل إلى منتهاها، وهي تمحو آخر آثار المقام السردي معطية الكلمة منذ البدء للشخصية السردية[٩].

وربما أضاف بعضهم، إلى هذه الحالات الثلاث، حالات أخرى من خطاب الشخصية، منها: الأسلوب غير المباشر الحر (Le Style indirect libre) وهو ليس إلا تنويع على الخطاب المحول. والخطاب المباشر أو الاستشهاد النصي بخطاب الشخصية (Le discours immédiat) وفيه يمحي الراوي، وتحل محله الشخصية[١٠]، وهناك

أيضا الخطاب المباشر الحر وهو، فيما تقول شلوميت كنعان، الشكل النموذجي لضمير المتكلم في المونولوج الداخلي[11].

ولكننا في دراستنا لطرائق القول في القصص القرآني، لن نكون بحاجة لكل هذه الحالات؛ لأن التنوع في الصيغ- كما سنرى- ليس كبيرا، ويمكن حصره في الحالات الثلاث التي عرض لها جنت Genette في حديثه عن حكاية الأقوال، الذي يمكن أن نضمنه- دون أي خوف من خطر الوقوع في اللبس- حكي الأحداث، الذي يأتي بصيغة الخطاب المسرود، وبذلك يقع ضمن الحالة الأولى التي تحدث عنها (صيغة الخطاب المسرود) وفيها يوجز المتكلم أقوال الشخصيات، كما يسرد أي حدث، فلا يكون هناك أي علاقة بين كلامه وما تنطق به الشخصيات، اللهم إلا مرجعية تكاد تكون مبهمة لمحتوى كلام تلك الشخصيات. وإذا كانت الحالة الأولى تشمل حكي الأحداث والأقوال، فإن الحالة الثانية (صيغة الخطاب المعروض) تختص بحكي الأقوال فحسب، وتأتي في أشكال مختلفة، منها: صيغة الخطاب المنقول المباشر، وفيه نجد نص حوار الشخصيات كما جرى في الواقع، لكن ينقله متكلم خارجي (غير شخصيات الحوار) مع الإشارة بوضوح إلى أن الكلام لتلك الشخصيات؛ وصيغة الخطاب المنقول غير المباشر، وفيها

ينقل المتكلم حوار الشخصيات دون الإشارة إلى ذلك، وأخيرا صيغة الخطاب المعروض غير المباشر، حين يتداخل الخطاب المسرود والخطاب المعروض تداخلا يصعب الفصل فيه بين الصيغتين.

قصص آدم عليه السلام

أ- في سورة ص

﴿ قل هو نبأ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ﴾ يبدأ القص بصيغة المعروض غير المباشر في تداخل صيغي، يجمع بين المسرود والمعروض في صيغة موحدة، حيث يبدأ الخطاب بصيغة المسرود الموجه مباشرة من القائل عز وجل إلى محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ ثم تتحول الصيغة ضمن المسرود إلى صيغة المنقول المباشر حيث تتداخل الصيغتان تداخلا ظاهريا سرعان ما يتكشف عن صيغتين متغايرتين، ووظيفتين مختلفتين أولاهما أمر بالقول، والأخرى تنفيذ هذا الأمر في سرعة توحي باندماج الأمر في الفعل. فها هو النبي

obeikandl.com

محمد صلى الله عليه وسلم أمام كفار مكة يتحدث إليهم، قبل اكتمال ما أريد منه، ليكتمل في عمله هو- اختصارا معجزا بليغا- فالخطاب المسرود في صيغة الأمر لا يستغرق أكثر من آية ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) ﴾ وهناك بقية تأتي في صيغة أخرى، صيغة المنقول المباشر.

وبعد القطع يأتي الخطاب بصيغة المنقول المباشر كذلك مع اختلاف الصوت ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ يلي هذا موجز بصيغة الخطاب مسرود، يجمل أحداثا عظيمة تخص آدم عليه السلام ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ ويضيء لنا جانبا في طبيعة الملائكة وطاعتها المطلقة لأوامر ربها، وجانبا مضادا مركوزا في طبيعة إبليس هو عصيانه المطلق. ومن ثم تعود صيغة المنقول المباشر لتستمر حتى نهاية القصة.

ب- في سورة الأعراف

يبدأ الخطاب القصصي بصيغة الخطاب المعروض، بضمير الجماعة نا الدال على العظمة والقدرة المطلقة، المتحرفة في الأشياء، خلقا وتصويرا، وإرادة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا

لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ ومن ثم يتحول ضمير الجماعة إلى ضمير الغائب المفرد، وتتحول الصيغة إلى صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي هي تنويع على الصيغة الرئيسية، صيغة الخطاب المعروض، بها يجري تقديم الحكي، مع اختلاف موقع الصوت الذي يقدمه، من داخل القصة إلى خارجها ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ ﴾... (١٨) هذا التحول، من ضمير الجماعة إلى ضمير الغائب، يتكفل بدور كبير في تطويع أسلوب القص للموقف المحكي؛ فعندما كان الحديث عن الخلق والتصوير والأمر بالسجود.. ناسب ذلك استعمال ضمير الجماعة، فهو حديث عن تكريم المخاطبين، وفي الخطاب المباشر تكريم لهم، ثم عندما جاء الحديث عن إبليس وعصيانه ناسب أن يكون ذلك بضمير مختلف، وبصيغة الخطاب المنقول المباشر التي هي كالأولي لكن ينقلها هنا ناقل (وسيط) ربما إلماحا لعظم الأمر الواقع من إبليس، وإمعانا في إبعاده، وطرده من أي معية حتى ولو كانت لغوية.

ويتحول الخطاب إلى آدم متخذا الصيغة ذاتها، في خطاب معروض مباشر ﴿ وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ تكريما لآدم فلا وسيط، إنما نرى نحن، ونسمع ما كان، كما كان.

وفي صيغة المسرود يوجز النص لنا ما كان من وسوسة الشيطان لهما، وهدفه من ورائها، ونتيجتها من ظهور السوءة، والخصف من ورق الجنة ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) ﴾ وضمن المسرود المؤطَّر لهذا الجزء من القصة يأتي المنقول المباشر وغير المباشر للإخبار بما كان من إبليس وإغوائه آدم، ونصحه الزائف، وحلفه الكاذب، وكأنه لم يترك سبيلا ممكنا لإغواء آدم إلا سلكه. وبع ذلك يأتي العتاب والتوبة والأمر بالهبوط إلى الأرض في الصيغة التي رأيناها قبل قليل مع إبليس في حواره مع ربه، صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي يتكفل بتقديمها صوت خارجي، وتأتي بضمير المفرد الغائب. فقد ابتعد آدم بذنبه درجة، فلم يعد الخطاب كما كان أولا، يقول تعالى ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن

تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴾.

جـ- في سورة طه

تبدأ القصة مع الخطاب المعروض، بضمير الجماعة نا الدال على العظمة، في مقدمة للحكاية توجز فحواها ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ وتستمر الصيغة ذاتها لنتعرف على ما كان من طاعة الملائكة وعصيان إبليس، وتحذير آدم من عداوته ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى (١١٩) ﴾ ومن ثم يتداخل الخطاب المسرود مع المنقول المباشر، ليوجز أحداث إغواء الشيطان لآدم، وخطيئته، وتوبته ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يا آدم هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) ﴾ ولعل تداخل الصيغتين: المسرود والمنقول المباشر، في حدث إغواء الشيطان،

يعود لأهمية نص كلام الشيطان، وتلبيسه، الذي يعد مدخلا من مداخله إلى بني آدم: الإغواء بالخلد والملك. وفي صيغة المنقول المباشر كذلك يأتي الأمر بالهبوط، والترغيب في اتباع هدى الله متى جاء ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾.

د- في سورة الإسراء

مع صيغة الخطاب المعروض، يبدأ القص بضمير الجماعة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ ومن ثم تعوضه صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة، ويتحول الضمير من الجماعة إلى المفرد مع تحول الصوت من المتكلم إلى الغائب ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا (٦٥) ﴾.

obeikandl.com

هـ- في سورة الحجر

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، بضمير الجماعة الدال على العظمة، وطلاقة القدرة المتصرفة في مادة الخلق ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ ثم تتحول الصيغة إلى المنقول المباشر، ويتحول الضمير إلى المفرد، في خلق آدم وطلب السجود ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ ثم في صيغة المسرود يوجز الخطاب أحداث طاعة الملائكة، وعصيان إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ﴾ ومن ثم يأتي حوار الله تعالى مع إبليس في صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة (٣٢-٤٤).

و- في سورة البقرة

نبدأ مع صيغة المنقول المباشر، التي تهيمن على القصة كلها بدءًا من حوار الله تعالى للملائكة حول خلق آدم، ثم إعداده للخلافة في الأرض، وسجود الملائكة وامتناع إبليس... حتى الهبوط إلى الأرض،

يتخللها من حين لآخر صيغة المسرود التي تضيء جوانب في القصة بإيجازها لأحداث كثيرة في كلمات قليلة ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ (٣٦) ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧) ﴾.

محاولة تجميع

لننظر الآن في وظائف قصة آدم عليه السلام الست الرئيسية، وفي علاقتها ببحث الصيغة:

١- الإخبار بخلق آدم

يأتي تبعا لطبيعة الإخبار معروضا في صيغة المنقول المباشر، لينقل لنا المشهد الذي يخبر الله فيه الملائكة بخلق آدم، في سور: ص، والحجر، والبقرة.

٢- سجود الملائكة وامتناع إبليس

تبدأ هذه الوظيفة بالأمر بالسجود، في صيغة الخطاب المعروض، في مكانها من السياق ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

سَاجِدِينَ ﴾ في سورتي: ص، والحجر. ﴿ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ في سور: الأعراف، وطه، والإسراء، والبقرة. ويلاحظ أن طلب السجود لآدم في سورتي: ص، والحجر، يأتي مرتبطا بالنفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى، لأن الإخبار هاهنا كان عن خلق بشر من صلصال، أو من طين. وكأن السجود كان تكريما لروح الله المضاف إلى الطين في آدم عليه السلام. وبعد الأمر بالسجود تأتي النتيجة مجملة في صورة الخطاب المسرود الذي يوجز لنا مرحلة فاصلة في قصة آدم عليه السلام، ويضيء جوانب مهمة في بناء شخصيات القصة: آدم وما كان من تكريم الله إياه بأمره الملائكة أن يسجدوا له بعد أن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه. والملائكة، بطاعتهم وامتثالهم لأمر الله، وتسليمهم العميق الذي لا يشوبه شائبة تردد. وأخيرا إبليس باستكباره، وكفره، وحقده، وعناده.

٣- سكنى آدم وزوجه الجنة

يأتي في صيغة الخطاب المعروض، حيث نستمع إلى أمر الله تعالى لآدم وزوجه بسكنى الجنة، والأكل مما فيها من نعم، ونستمع كذلك إلى نهيه لهما عن الاقتراب من شجرة معينة فيها، وتحذيره لهما من عدوهما إبليس. نستمع إلى أمرين: (اسكن- كلا) وإلى نهيين: (لا

تقربا- لا يخرجنكما) الأمران متلازمان: السكنى والأكل، والنهيان كذلك متلازمان متبادلان؛ فالشيطان أخرجهما من الجنة بأن سول لهما الاقتراب من الشجرة المحرمة والأكل منها، وهذا التبادل يبين نوع التحذير من إبليس العدو، وأنه لم يكن تحذيرا من أشياء متعددة، بل كان تحذيرا من شيء واحد معين: من الاستماع إلى إبليس والأكل من الشجرة ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

٤- طرد إبليس (من الجنة / من رحمة ربه / من منزلته التي كان فيها):

إن الوظيفة الخاصة بسجود الملائكة وامتناع إبليس، تهيمن عليها صيغة الخطاب المنقول المباشر، حين نرى المشهد معروضا في حوار بين الله وإبليس، في سور: ص، والأعراف، والإسراء، والحجر. وهذه الوظيفة (طرد إبليس) من أطول وظائف السرد في قصة آدم عليه السلام. فهي ليست وظيفة أساسية في قصة آدم فحسب، بل هي وظيفة أساسية في قصة الحياة بصفة عامة؛ فهناك منذ أزمان سحيقة وقف إبليس موقفا أدى إلى أن يطرده الله من رحمته، أو من جنته؛ فتوعد من كان سببا في طرده، وتوعد أبناءه من بعده، وبداخله حقد متقد متجدد،

ناره لا تخمد، فقطع الوعد على نفسه بإغواء ذرية آدم إلا المخلَصين منهم، فلا سلطان له عليهم. وهذه الوظيفة لأهميتها تأتي في صيغة الخطاب المعروض، تلك الصيغة التي تنقل الموقف بكافة تفاصيله إلى المتلقي- المشاهد في هذه الحالة.

ونلاحظ اختلافا في طريقة عرض هذه الوظيفة في سورة الإسراء عنها في السور الأخرى. فالحوار يبدأ في السور الثلاث الأخرى، بسؤال الله إبليسَ عما منعه من السجود- تبكيتا- أما في الإسراء، فيبدأ باستنكار إبليس واستنكافه أن يسجد لمخلوق من طين، وتطاوله على ربه منذ البداية ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) ﴾ لهذا يأتي توعد الله له هاهنا مصحوبا بإخباره بكل سبل الغواية التي يستطيع أن ينفذ منها إلى بني آدم، ويأتي استطراد بصيغة المسرود ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾ فكل ذلك محض هباء باطل.

٥- الخطيئة والتوبة:

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المسرود، متبوعة بصيغة ملازمة هي صيغة المنقول المباشر. ففي الأعراف ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ ﴾ ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وفي سورة طه ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ ﴾ ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ ﴾ وفي سورة البقرة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ﴾ هذا التعليق الذي يتكفل به صوت خارجي، ويأتي في صيغة الخطاب المسرود، يتداخل مع صيغة الخطاب المعروض التي تهيمن على القصة؛ وهذا التداخل يؤدى إلى الإحاطة بجميع جوانب حدث الخطيئة والتوبة.

٦- الهبوط إلى الأرض:

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴾ [سورة الأعراف]. ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) ﴾ [سورة طه]. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ [سورة الحجر]. ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) ﴾ [سورة البقرة]. تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المنقول المباشر، وتنتهي بآدم وذريته خلفاء في الأرض وإبليس عدو لهم.

قصص نوح عليه السلام

١- إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة في صيغتين متلازمتين، حيث تبدأ بصيغة الخطاب المعروض، ثم تتحول إلى صيغة المنقول المباشر، مع تحول الضمير من نا الدالة على القدرة والعظمة، بوجودها الفاعل في القص، إلى ضمير الغياب، حيث يجري نقل قول نوح عليه السلام نقلا مباشرا. ففي سورة الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾ تبدأ بخطاب مباشر من الله تعالى ينبثق عنه نقل خطاب نوح إلى قومه، والصيغة نفسها تأتي في سور: هود، ونوح، والمؤمنون، والعنكبوت.

obeikandl.com

٢- تكذيب قومه له

ليست هناك صيغة ثابتة لهذه الوظيفة: فمرة تأتي بصيغة المسرود، كما في سورة الشعراء ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ وتأتي بصيغة الخطاب المعروض، كما في سورة يونس ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ (٧٣) ﴾ وتأتي بصيغة المنقول المباشر، كما في سور: هود ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ والمؤمنون ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) ﴾ والأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) ﴾ ونوح ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) ﴾.

٣- الأمر بصناعة الفلك

في سورة هود: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا

وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ نبدأ مع صيغة الخطاب المحول (المنقول غير المباشر) والوحي إلى نوح بثبات قومه على الكفر. ثم يأتي أمر الله إلى نوح بصناعة الفلك في صيغة الخطاب المعروض، ثم يأتي الخطاب المسرود موجزا ومجملا تنفيذ هذا الأمر، وما لقي نبي الله في سبيل ذلك من أذى بسخرية قومه منه. ثم مع المنقول المباشر نستمع إلى رده على قومه في ثقة وطمأنينة. وفي سورة المؤمنون، تأتي بصيغة الخطاب المعروض ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) ﴾.

٤- الطوفان، ونجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المعروض بضمير العظمة والقدرة المتصرفة، في سور: القمر ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) ﴾ والأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ والشعراء ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) ﴾ وكذلك في سور: يونس، ونوح، والعنكبوت، والمؤمنون- وفي سورة هود، تأتي في صيغة الخطاب المعروض يتداخل معها المنقول المباشر وتنضاف تعليقات خارجية في صيغة الخطاب المسرود ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾.

قصص هود عليه السلام

١- إرسال هود، والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود، كما في سورة الأعراف ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ وفي سورة هود ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠) ﴾ وأيضا في سورة الشعراء. وتختلف الصيغة في سورة الأحقاف، حيث تبدأ بصيغة المنقول غير المباشر، التي تحضر لصيغة الدعوة الرئيسية (المنقول المباشر) ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾.

٢- تكذيب قومه له، يأتي بصيغة المنقول المباشر كما في سور: الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ... [الآية] ﴾ والشعراء، وهود، والأحقاف.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المعروض، بضمير العظمة والقدرة القاهرة المتصرفة في الكون بما تشاء، في سورة القمر ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) ﴾ وسورة الأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾ وكذلك في سورة الشعراء، وفي سورة هود: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ حيث توجز أحداث القصة منذ بدء الدعوة إلى يوم القيامة. وفي الأحقاف تتداخل صيغ الخطاب المسرود والخطاب المنقول المباشر وغير المباشر، والخطاب المعروض كذلك، في دلالة على عظم الحدث... ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾.

قصص صالح عليه السلام

١- إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة كما في قصص هود عليه السلام في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود، كما في سور: الأعراف ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ وفي النمل تفتتح بصيغة الخطاب المعروض التي تعوضها صيغة الخطاب المنقول غير المباشر ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ ﴾ بإدماج دعوة صالح في سرد حدث الإرسال، وكأن وظيفة الدعوة ليست مقصودة في السياق وإنما مكر القوم وإنكارهم للحق هو المقصود.

٢- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم صالح

تسيطر هاهنا صيغة الخطاب المنقول المباشر، وتتخللها أحيانا صيغة المسرود للربط بين الأحداث، أو لإيجاز أحداث كثيرة لا حاجة للقصة بتفصيلها، كحدث عقر الناقة الذي يأتي دائما في صيغة المسرود، في سور: القمر ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) ﴾ والأعراف ﴿

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (٧٧) والشعراء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) ﴾ وفي سورة هود ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ (٦٥) فيمر غامضا كالحلم، لتبقى فقط نتيجة هذا الفعل قائمة؛ فالوقوع في الخطيئة سهل يسير، أما الخطير فهو مغبة هذا الوقوع في الخطيئة.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي بصيغة الخطاب المعروض كما في سور: القمر ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢) ﴾ والنمل ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾ وهود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨) ﴾ وفي الأعراف تأتي في صيغة الخطاب المسرود إيجازا وإجمالا ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ وبالصيغة ذاتها تأتي في سورة الشعراء، وللغرض ذاته، الإيجاز والإجمال، فما أهون شأنهم.

قصص لوط عليه السلام

١- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم لوط

في سورة الأعراف نجدنا أمام الدعوة مباشرة، دون التقديم الذي كان يسبق قصص نوح، وهود، وصالح، وشعيب على نحو ما مر بنا ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ ﴾ (٩٥) ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ (٨٥) أما عند لوط، فتبدأ القصة مع دعوة لوط قومه في صيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) ﴾ وكذلك في سورتي الشعراء وهود: في سورة الشعراء تأتي صيغة المسرود لتقديم القصة التي تستمر بعد ذلك في صيغة المنقول المباشر ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١)... قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لوط لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) ﴾ وفي سورة هود تبدأ القصة بمسرود، يتخلله منقول مباشر ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ

﴾ ثم تكتمل الأحداث بصيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا ﴾.

٢- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة بكاملها بصيغة واحدة، هي صيغة الخطاب المعروض، مع اختلاف السياقات. ففي سورة القمر، بعد التحضير في صيغة الخطاب المسرود ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) ﴾ وفي سورة الأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾ وسورة الشعراء ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ(١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) ﴾ وسورة هود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً

عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾ وسورة الحجر ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) ﴾ وفي سورة العنكبوت ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) ﴾ وكأن ثم أمرا خاصا جللا، وخطيرا، جعل إهلاكهم يتكفل به ضمير العظمة القاهرة المتصرفة، في صيغة الخطاب المعروض.

قصص شعيب عليه السلام

١- إرسال شعيب، والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة كما في قصص صالح عليه السلام في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾ [سورة الأعراف] وكذلك في سورتي: الشعراء وهود.

٢- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم شعيب

تأتي في صيغة المنقول المباشر، لتعرض علينا ما كان بين الجانبين بكل تفاصيل الدعوة والتكذيب، بعد أن يجري التمهيد لها بصيغة الخطاب المسرود، كما في سور: الأعراف ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ... ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ... ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ... ﴾.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المسرود، في سورتي: الأعراف ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) ﴾ والشعراء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾ وفي هود تتشارك صيغتا الخطاب المعروض، والخطاب المسرود في تقديم الحكي ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾.

obeikandl.com

قصص موسى عليه السلام

وقصص موسى على طوله، وانتشاره في القرآن الكريم، يأتي في صيغة أساسية، هي صيغة الخطاب المعروض، وتأتي صيغة المسرود لتتخللها مجملة أحداثا كثيرة، كما نرى مثلا في وظيفة إهلاك فرعون التي تأتي غالبا بصيغة الخطاب المعروض، وبضمير العظمة القاهرة المتصرفة التي لا يعجزها شيء مهما علا وبغى وطغى وتجبر. ففي سورة الأعراف ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) ﴾ فتفصيل الأحداث هاهنا لا جدوى من ورائه، إنما المهم أن نعرف ما وقع بهذا المستكبر وقومه، فكانت صيغة الخطاب المعروض في دقتها وصرامتها في تقديم الأحداث... ثم إن هذه

الصيغة بإجمالها حدث الإهلاك هكذا، فإنها تدل على هوان فرعون وقومه وسهولة أخذهم على الله عز وجل.

بعد ذلك تأتي وظائف: الاختيار، والدعوة، والاستكبار والتكذيب... تبدأ وظيفة الاختيار للرسالة بصيغة الخطاب المعروض غير المباشر الذي يتداخل فيه المسرود بالمنقول المباشر، وهذا الأخير سرعان ما يفرض هيمنته على الوحدة نجد هذا في سورة طه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يا موسى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا موسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يا موسى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) ﴾ وهذا التداخل للمسرود والمنقول المباشر، في صيغة المعروض غير المباشر، هاهنا يناسب عرض الحالة النفسية التي كان عليها موسى في ذلك اللقاء الأول بينه وبين ربه.

وتأتي وظيفة الدعوة في صيغة صريحة هي صيغة الخطاب المنقول المباشر بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المعروض بما يحمله من صفات التحكم والقدرة التامة، كما نرى في سورة الأعراف ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى ﴾ بينما يختلف الأمر قليلا في سورتي: طه والشعراء، حيث تأتي وظيفة الدعوة بالصيغة نفسها ولكنها منبثقة عن الوظيفة السابقة لها (الاختيار للرسالة) ففي سورة طه ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ . وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾.

ثم وظيفة الاستكبار والتكذيب، ويهيمن عليها صيغة المنقول المباشر، يتخللها المسرود أحيانا. كما في سورة الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) ﴾... (١٢٧) وفي سورة طه تبدأ بصيغة الخطاب المعروض، التي تجمل ما يرفع العذر عن فرعون ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) ﴾ ... (٧٦) وفي سورة الشعراء ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) ﴾... (٥٦) وفي سورة القصص ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) ﴾.

قصة موسى والعبد الصالح

تهيمن على القصة صيغة الخطاب المنقول المباشر، تتخللها صيغة الخطاب المسرود، لكن التقديم للقصة يأتي في صيغة الخطاب المعروض بضمير العظمة والقدرة المتصرفة في الكون بما تشاء ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ وهذه الآية هي النواة الرئيسية أوالمحور الرئيسي للقصة؛ فكل ما سيأتي من علم الله ومن رحمته، والعبد الصالح يقول في آخرها: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾.

قصة يوسف عليه السلام

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، ودائما بضمير العظمة، ومن غير العليم الخبير يمكن أن يخبر بكل هذا: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾.

openkandil.com

١- رؤيا يوسف (٤- ٦)

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ تأتي بصيغة الخطاب المنقول المباشر، وتكتمل بصيغة المسرود، إذا كان الكلام لغير يعقوب عليه السلام (لله تعالى).

٢- حسد الإخوة (٧- ١٨)

يهيمن هاهنا الخطاب المنقول المباشر يتخلله المسرود، الذي تبدأ به الوحدة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا ﴾ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ولعل الوحي هنا كان إلى يوسف تثبيتا لقلبه في هذا الموقف الشديد... وإن كان السياق يقبل كذلك أن يكون الوحي إلى يعقوب، حيث

نبأ أبناءه بأمر أكل الذئب ليوسف، وخوفه من ذلك، فكان السبب الذي اتكأوا عليه هو ما نبأهم به يعقوب من قبل ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾..

٣- يوسف عند عزيز مصر (١٩- ٢٢)

تأتي هذه الوحدة بصيغة المسرود لتوجز جانبا من الأحداث، ويأتي المنقول المباشر متخللا المسرود لعرض الأقوال المصيرية في حياة يوسف: ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾.

٤- محنة المراودة (٢٣- ٣٤)

نفتتح هذه الوظيفة بصيغة المسرود، نتعرف خلالها إجمالا على الحدث الخطير ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ تحضيرا للمنقول المباشر وتفصيل الدقائق ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾ ثم في صيغة المسرود يجري تقديم مجمل سريع، ليس للأحداث الجارية فحسب، وإنما هناك انفتاح كذلك على آفاق أخرى تحدد على وجه الدقة مسار الأحداث ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا

الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ لتبدأ صيغة المنقول المباشر، ونشارك في الأحداث مستمعين إلى الحوار الذي دار ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ ثم يأتي كلام الشاهد بعد ذلك بصيغة المنقول غير المباشر ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) ﴾ فلم يكن الشاهد حاضرا، وإنما حكيت له الوقعة؛ فشهد بما شهد وناسبت الصيغة حديثه. ثم في صيغة المنقول المباشر، ههنا حيث كان الشاهد حاضرا بنفسه، يعاين الأحداث: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾ قد يكون الشاهد عندما رأى قال، ويحتمل السياق أن يكون زوجها هو القائل، ردا على قولها ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ويستمر السرد بصيغة المنقول المباشر حتى نهاية الوحدة، تتخللها وتختمها صيغة المسرود، إيجازا وإجمالا ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) ﴾.

٥- يوسف في السجن (٣٥- ٤٩)

نبدأ مع المسرود الذي يتحول إلى المنقول المباشر: ﴿ وَدخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ ﴾ السرد يوجز الأحداث، والعرض ينقل المشاهد الفاعلة التي تمثل الجوانب الرئيسية في القصة: سؤال الفتيين يوسف تأويل حلميهما، ودعوة يوسف لهما إلى عبادة الله وحده، وتأويل الحلمين: ثم تأويل رؤيا الملك والتبشير بعام الغوث.

٦- براءة يوسف، والتمكين له (٥٠- ٥٧)

تبدأ الوحدة مع الصيغة المهيمنة (المنقول المباشر) بطلب الملك ليوسف، واعتراف النسوة بعفته، واستخلاص الملك له، والتمكين له في الأرض، وتختم بصيغة الخطاب المسرود ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾.

obeikandl.com

٧- قدوم إخوته عليه، واجتماعه بأخيه (٥٨- ٨٣)

نبدأ الوحدة مع المسرود تمهيدا لما يلي من أحداث ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ﴾ ومن ثم تهيمن صيغة المنقول المباشر على الوحدة، في مشاهد حية نعيشها مع أصحابها.

٨- تأويل الرؤيا (٨٤- ١٠١)

تهيمن هاهنا صيغة الخطاب المعروض (المنقول المباشر) يتخللها المسرود، وتنتهي الوحدة بخطاب معروض مباشر بصوت يوسف عليه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١) ﴾.

قصة قارون

نفتتح القصة بصيغة الخطاب المعروض، ودائما مع ضمير العظمة المتصرفة بما تشاء، رفعا وخفضا، إغناء وإفقارا... ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ

obeikandl.com

قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [سورة القصص: ٧٥] في ومضات سريعة تعرف بمجمل القصة.

ثم يأتي نصح قومه له في صيغة المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ويتحول الخطاب إلى صيغة المسرود ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه محض دمية تعرض على الناس ليُفتنوا بها. ومن ثم يأتي خطاب المشاهدين في صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) ﴾ ثم يأتي الخطاب المعروض موجزا ما كان من نهاية رهيبة ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وتختم القصة بصيغة المنقول المباشر ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ

تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾.

قصص سليمان عليه السلام

نبدأ مع سليمان، وفتنة الصافنات الجياد، وفي صيغة الخطاب المعروض، تتكشف لنا منطقة مهمة في تاريخ النبي سليمان العبد الأواب، وتلك القدرة التي تهب بدون حد ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) ﴾ ومن ثم تأتي صيغة المنقول المباشر ومعها صيغة المسرود كذلك؛ الأولى تعرض علينا مدى أوابيته وحرصه الشديد على ذكر الله، وحبه لذلك ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ والصيغة الأخرى توجز أحداثا طويلة وتخعنا أمام الصورة الكلية ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) ﴾ وسواء كان ردها شكرا لله وأوبة سريعة إليه وتذكرا أنه صاحب الفضل في نعمة وجودها عنده، بشكره العملي الذي تمثل في مسحه الحاني بسوقها وأعناقها...

أم كان تخلصا منها قربى إلى الله لأنها شغلته عن ذكر ربه حتى صار بذلك كالجسد الذي لا روح فيه.. يقول تعالى في صيغة المسرود ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ ولذلك يأتي قول سليمان في صيغة المنقول المباشر، مستغفرا وطالبا ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، لأنه تخلص من الجياد تقربا إلى ربه ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾.

٢- ومن ثم تأتي الوحدة الثانية: ملك سليمان، في صيغة الخطاب المعروض، بعظمة نا الفاعلين، الدالة على عظيم قدرة الواهب، وعظم الهبة ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ وفي سبأ كذلك ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾.

٣- ملك سليمان، ودوره في الدعوة إلى الله

نحن هنا أمام مجموعة من المشاهد المعروضة، يتم الربط بينها بصيغة الخطاب المسرود، بدءا من تفقد سليمان للطير، وتوعده الهدهد، ومرورا بمجيء الهدهد من سبأ بنبأ يقين، ومن ثم التأكد من صدقه، وإرساله إلى ملكة سبأ، وهدية الملكة إلى سليمان، ثم انتقال عرش الملكة، وقدومها على سليمان، وتعرفها على عرشها، ثم إسلامها (٢٠- ٤٤) وهذه الوحدة يمكن أن نطلق عليها " إسلام ملكة سبأ " نرى هيمنة الخطاب المعروض، يتخلله المسرود قليلا، يوجه المعروض ويملأ الفراغات فيه ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ... فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ... أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ.... فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ.... فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ... وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ.... فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ... ﴾ إننا هنا نجد اعتمادا كبيرا على أقوال الشخصيات، ونجد حذفا كثيرا للأحداث، ربما اكتفاء بالأقوال، يظهر هذا جليا في فصل الزمن حيث القفزات الكبيرة التي نراها في سرد القصص، وهاهنا نجد محذوفات كثيرة تدل عليها القرائن

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)..... وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ.... ﴾.

٤- موت سليمان

تأتي هذه الوحدة في صيغة الخطاب المسرود الذي يوجز أحداثا كثيرة: موته، واتكاؤه على منسأته، وأكل الأرضة لها، وخروره، ولبث الجن مع ذلك في العذاب المهين، ثم معرفتهم بموته، وندمهم على لبثهم في العذاب لجهلهم بموته... وكل أولئك يتصدره الخطاب المعروض بنا العظمة الدالة على القوة القاهرة المتصرفة في الكون بما تشاء ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾.

قصة ابني آدم عليه السلام

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود وتقديم القربان ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ومن ثم تأتي وحدة التهديد بالقتل في صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ ثم تأتي وحدة القتل في صيغة المسرود إجمالا للقتل والنتائج التي ترتبت عليه ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾ بعد ذلك يأتي بعث الغراب، والندم في صيغة المسرود تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾.

obeikandl.com

قصة ذي القرنين

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، في توجيه من الحق سبحانه وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم، فيما ينبغي عليه أن يقول، جوابا عن سؤال أهل الكتاب من اليهود، الذين استعان بهم كفار مكة لكشف صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) ﴾ [سورة الكهف]. تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا(٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا(٨٨) ﴾ ﴿ قَالُوا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا

(٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾.

قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام

١- ميلاد مريم (مريم في كفالة زكريا)

تهيمن هاهنا صيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾ [سورة آل عمران] وتستمر هيمنة العرض على الوحدة ، يتخلله قليلا الخطاب المسرود.

obeikandl.com

٢- ميلاد المسيح

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود، الذي يتحول إلى صيغة الخطاب المعروض ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) ﴾ [سورة مريم] ومن ثم يتحول الخطاب إلى صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) ﴾ [سورة مريم] ثم المسرود ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [سورة مريم] وتختم الوحدة بالمنقول المباشر ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) ﴾ [سورة مريم].

وفي سورة آل عمران تأتي الوحدة كلها بصيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾.

٣- رسالة عيسى

تأتي هذه الوحدة بصيغة الخطاب المنقول المباشر، في سورة مريم ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ

أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣) ﴾ وآل عمران: ﴿ وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾.

٤- تكذيب قومه، وكفرهم، ومكرهم

تأتي كذلك في صيغة الخطاب المنقول المباشر، مع مدخل مسرود ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ ﴾ [سورة آل عمران].

قصة أصحاب الجنة

تبدأ الوحدة بصيغة الخطاب المعروض، ونا الدالة على العظمة وطلاقة القدرة وتصرفها ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ

(٢١) ﴾ ثم تأتي صيغة المنقول المباشر، لتضعنا في قلب الأحداث، يتخللها المسرود ربطا وإيجازا ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) ﴾ وتختم القصة بالمسرود الذي يوجز الحكمة من تقديم القصة ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾.

قصة أصحاب الكهف

تأتي القصة في صيغة الخطاب المعروض الذي يتجلى فيه ضمير العظمة، متصرفا في خلقه وكونه بما يشاء، يتخلله الخطاب المسرود مجملا لأحداث قد تطول ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ

لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ﴾ ثم الخطاب المنقول المباشر، الذي يضعنا ضمن ما يجري من أحداث ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلاءِ قَوْمُنَا ﴾..... (١٦) وبعد ذلك يسير الخطاب بصيغة المسرود، يشاركه قليلا الخطاب المعروض حين تأتي أهمية التدخل الإلهي ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ ويهيمن الخطاب المسرود فيما دون ذلك ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ ثم يتحول إلى المنقول المباشر ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا

فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ ثم يعود الخطاب المعروض من جديد، فهو سبحانه وتعالى، الذي أراد أن تجري الأحداث على هذا النحو ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ ثم المنقول المباشر ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ثم يأتي الختام بصيغة الخطاب المعروض الذي يؤطر القصة، ويؤكد الشعور بمعايشة الأحداث والحضور فيها ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾.

نلاحظ سيطرة المسرود على القصة يتخلله المعروض- المنقول المباشر؛ وبذلك يظهر القائل وأفعاله في سير القصة، وكذلك تفرده بعلم تفاصيلها.

قصة صاحب الجنتين

نبدأ مع صيغة المعروض، وخطاب الحق تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جنتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجنتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ثم بصيغة المنقول المباشر نستمع إلى الحوار بين الصاحبين ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾- (٤١) يتخلله- للمرة الأولى فيما مر بنا من قصص- صيغة الخطاب المعروض الذاتي، حيث يتحدث صاحب الجنتين إلى نفسه ﴿ وَدَخَلَ جنتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) ﴾ وتختم القصة بصيغة المسرود ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا ليتني لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) ﴾.

خصائص الصيغة السردية في القصص القرآني

دراستنا للصيغة السردية، تنتج عنها بعض الملاحظات. تتجلى في القصص القرآني من صيغ الخطاب: صيغة المنقول المباشر، التي تهيمن على القص، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص، ففي قصص آدم عليه السلام، تأتي الوحدة السردية الأولى، وهي إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم- دائما- في صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي تحمل إلينا حوار الله والملائكة في هذا الشأن ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ ودائما يأتي الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ في سور: ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة

(٣٠). يلي هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التي تأتي بصيغة الخطاب المعروض، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة... ودائما بالصيغة الواحدة التي لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ في سور: طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة تعرض لطاعة الملائكة، واستكبار إبليس، وامتناعه عن السجود، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله، الذي يأتي في صيغة المنقول المباشر، لأهميته الشديدة، لا في قصة آدم فحسب، وإنما، كما قلنا من قبل، في قصة الحياة بصفة عامة.

وفي قصص الأنبياء، نجد دائما وظيفتي الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة، صيغة الخطاب المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها بصيغة الخطاب المعروض. ففي سورة الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة، والدعوة أيضا واحدة. وهذا أيضا ما نجده في سورة

هود، وفي سورة الشعراء ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) ﴾ ﴿ كَذَبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) ﴾ ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) ﴾ ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) ﴾ ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد في الصيغة الكلية للدعوة، بل في كلمات الدعوة، يجعلنا وكأننا أمام نبي واحد، ورسالة واحدة، وإنها لكذلك. وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [سورة البقرة]- يتردد ما دامت السماوات والأرض، وما زال الهدى يأتي من الله، فمن تبعه نجا وسلم.

الهوامش:

(١) Yves Reuter, introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996, P. 61 & Oswald Ducrot – Jean Ma. ie Schaeffer , Nouveau dictionnaire encyclopédique des science du langage, éd. du Seuil, coll. Points, 1995, P. 229

(٢) بيرسي لبوك، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨١، ص. ١٣٨-١٣٩

(٣) الشكلانيون الروس، نظرية المنهج الشكلي. ترجمة إبراهيم الخطيب. مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ ١٩٨٢، ص، ١٨٩ وانظر أيضا، جان ايف تاديه، الشكليون الروس، ترجمة قاسم المقداد، مجلة المعرفة، سوريا، السنة ٣٠، العدد ٣٣٢ مايو ١٩٩١، ص، ١٠١

(٤) لأن العمل الأدبي- كما يقول- ليس مصنوعا من كلمات وإنما من جمل تنتمي إلى سجلات مختلفة من سجلات الكلام، ووصف هذه السجلات يمثل أول مهمة على الناقد أن يقوم بها، حيث ينبغي أن تبدأ بمعرفة الوسائل اللسانية التي تتوفر للكاتب، ينبغي أن نعرف خصائص الكلام قبل إقحامه في العمل الأدبي، فذلك ضروري لمعرفة الخطاب الأدبي ذاته Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, Paris, Ed.du Seuil, Coll. Points, 1968, P. 39-40 وتودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري (سوريا) ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ٨١

(٥) Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme, P.51

(٦) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire , Communications n8, éd .du Seuil, coll. Points, 1981, P. 150

« Nom donné aux différentes formes du verbe employées pour affirmer plus ou moins la chose dont il s'agit, et pour exprimer ... les différents points de vue auxquels on considère l'existence ou l'action »

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972, P. 183

(٨) Ibid. P. 184

(٩) Ibid. P. 191-193

obeikandl.com

(١٠) Gérard Genette, Figures III, P. 194 & Vincent Jouve, La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999, P. 30-31

(١١) شلومیت کنعان، التخییل القصصی، ص ١٦٠– ١٦٢، وهی تنقل، في حالات عرض الكلام، عن ماكبيل، مقياسا تصاعديا يتسلسل من الحكائي على نحو صرف إلى المحاكاتي على نحو صرف، هذه الحالات (السبع) هي على التوالي التلخيص الحكائي/ التلخيص الحكائي الأقل صرفا / الصياغة الجديدة للمضمون غير المباشر/ الخطاب غير المباشر، محاكاتيا إلى درجة ما / الخطاب غير المباشر الحر/ الخطاب المباشر/ الخطاب المباشر الحر.

obeikandl.com